إِنِّي
أُحِبُّك
يا (....) !

رسول الله

rasoulallah.net

بيْنمَـا كان يَمشِـي مُعَـاذ بِمفْـرَده فِـي الطُّرقات، حَالُه كَحَال غيْره مِن العشرات والمِئـات...

لَـم يَكُـن علـى دِرايـة أَنَّـه بَعْـد لَحَظـات سَيكُون علـى مَوعِد مع أَدفَـئ شُـعُور، وأجْمـل كَلمَة قد يسْمعهَا فِـي كُلِّ الحيَاة..!

«إِنِّي أُحبُّك يَا مُعَاذ»

«إِنِّي أُحبُّك يَا مُعَاذ»

وَكَررهَا مرَّتيْن...

لَم يَقُلهَا لَه شَخْص عَادِي، بل إِنسَان تَسَابقَت كُلُّ الكائنات لِلتَّقَرُّب إِلَيه، حَتَّى الجمادات!

رَجُـل أَعظَـم مِـن كُلِّ المُلـوك، وَأَجَـلّ مِـن كُلِّ السَّـلاطين، وأحْكـم مِـن كُلِّ الحكمـاء؛ إِنَّـه **مُحمَّد بْن عَبْد اللَّه**.

لِيتوَقَّف العالم قليلا بِمعاذ...

يَا للسَّعادة الغامرة!

إِنَّ لِي مَكانَة بِقَلب سَيِّد الأَنْبياء!

لِينْتَشر رحيق فرَح قَلبِه فِي كُلِّ مَكَان!

وكيْف لَا؛ وَإِذَا قال لَك مُجرَّد رَجُلٍ عَادِي: «أُحبُّك!» سعِدْتَ طَوَال المسَاء!

فمَا بَالُك بِمن تُحبُّه أَكثَر مِن مَالِك، وولدك، بل ونفْسك وَروحِك والنَّاس أَجمعِين!

مَا رَدَّة فِعْلِك حِينهَا؟

لَم يَكُن اعْترافه بِحبِّه لِمَن حَوله مِن النَّوادر أو الغرائب فِي سِيرته الفيْحاء؛ بل هَكذَا كان مَنهَج النبِي طَوَال حَياتِه، مِعطَاءً فِي كُلِّ شَيْء، وأعْظم عَطَاء هُو عطاؤه الحُب.

لِدرجة أنَّ أصْحابه كَانُوا يتنافسون فِيمَا بيْنهم لِيُثْبتوا أيّهم أحبُّ إِلَيه!

ثَلَاث رِجَال لَيسُوا كأيّ رِجَال، بل هُم مِن حَاملِي اللِّواءات، وَقائِدي الغزوات، وَهُم أُسودٌ فِي الحُروب والقتالات!

لَا تُفرِّق بيْنهم فِي شجاعتهم، وبسالتهم، وإِقْدامهم دَاخِل وَخارِج المعارك والفتوحات؛ لِدرجة أن يَرتَعِب عدوّهم مِنْهم، بل ويهْرب مِن أَمامِهم!

جَعفَر بْن أَبِي طَالِب، عَلِي بْن أَبِي طَالِب، زَيْد بْن حَارِثة

اخْتلفوا يوْمًا فِيمَا بيْنهم بيْنمَا هُم جلُوسٌ مع بَعضهِم، لِدرجة أَنهُم قَررُوا أن يَجْمعوا أَمرَهم ويجْعلوا رَسُول اللَّه يَحكُم بيْنهم.

هل تَعلَم على مَاذَا اخْتلفوا؟

على مدَى دَرجَة مَحبَّة رَسُول اللَّه لَهُم، وَذلِك عِنْدمَا قال جَعفَر أمامَهم:

«أَنَا أَحبُّكم لِرسول اللَّه صَلَّى اللَّه عليْه وَسلَّم.»

فَرَد عليْه أَخُوه عَلِي: **«بل أَنَا أَحبُّكم إِلى رَسُول اللَّه.»**

لِيَرد عَليهِم زَيْد: **« لَا أَنْت ولَا أَخَاك، بل أَنَا أَحبُّكم إِلى رَسُول اللَّه.»**

rasoulallah.net

تَخيّل لِلحْظة عَظمَة القائد الذِي يَجعَل أصْحابه الرِّجَال الأسْود فِي المعارك، يتبَارَوْن فِيمَا بيْنهم لِاعْتقاد كُلّ وَاحِد مِنْهم مِن تعامله مَعهُم أَنَّه يُحبُّه أَكثَر مِن أيِّ أحد آخر!

وَهنَا قَررُوا الذَّهَاب لِرسول اللَّه لِيحْكم بيْنهم لِيقرِّر مِن هُو أحبُّهم إِلَيه فِعْلا...

فجاؤوا إِلَيه لِيسْتأْذنوه، فَأذِن لَهُم بِالدُّخول؛ فقالوا لَه والشَّغف يعْتريهم: «**مَن أحبُّ إِلَيك يَا رَسُول اللَّه؟**»

قال:

«فَاطِمة»

قَالُوا: «**نسْألك عن الرِّجَال.**»

وَهنَا عَلِم غَايَة قُدومِهم، فَصرَّح بِمكانتهم الحقيقيَّة لَهُم عِنْده فَقَال:

«أَمّا أَنْت يَا جَعفَر فأشْبَه خَلقك خَلْقِي، وأشْبه خَلْقِي خَلقك وأنْتَ مَنِي وَشَجرِتِي...»

أَنْت ابْن عَمِّي وَمِن أَهلِي، ولَا يُوجَد أحد يُشْبهني فِي شَكلِي وَسَمتِي وأَخْلاقي وَطبعِي مِثلك يَا جَعفَر...

لِيطير جَعفَر فرحًا بِكلام رَسُول اَللَّه..!

«وَأَمَّا أَنْت يَا عَلِي، فَخَتْنِي وَأَبُو وَلَدِي

وَأَنَا مِنْكَ وَأَنْتَ مِنِّي...»

فَأَنتَ زَوجُ حَبِيبتي وَقُرةِ عَيْنِي؛ ابنَتي. وَأحَبّ النّاس إِليّ فَاطِمَة التِي زَوّجتُكَ لَهَا، وَاستئمَنتُكَ عَلَيْهَا، وَجعَلت نَسلَك وَنَسلَ أَولَادِك مِني، فَاجتَمَع شَرفُ القَرَابة، وَشَرف النّسَب مَعَك يَا عَلِي.

فَطارَ قَلبُ عَلِي فَرحًا هُو أَيضًا بِكلامِ رَسولِ اللَّهِ..!

«وَأَمَّا أَنتَ يَا زَيْد؛ فَمَولايَ وَمِنّي وإِليّ وَأَحَبّ القَومِ إِلَيّ.»

أَمّا الحَالُ مَعَكَ يَا زَيْد، فَرَغمَ أَنّي لَا يَجمعُنِي بِك صِلة قَرابةٍ وَلَا صلة نِسَب، وَلَكِنْ يَجمَعُنِي بِك صِلة مَحَبّةٍ وَصُحبَة وَطُول عِشرَة؛ حَتّى أَصبَحتَ أَحَبّ القَومِ إِلي.

فَطَارَ قَلبُ زَيد فَرحًا بِكَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ.

rasoulallah.net

تَأَمّل؛ كَيْف لَم يَكسِر بِخاطرهم، وراعى مشاعِرَهم، بل ورَدّ عَليهِم بِمَا طَمئَن قُلوبَهم، وأسْعَد صُدورهم.

فأعلَم كُلٌّ مِنْهم بِمكانتِه الخاصَّة والمميَّزة فِي قَلبِه، وَالتِي لَا يُنازِعُه فِيهَا أحد آخر غَيره.

ولم يَكُن يُفرِّق النبِي فِي حُبِّه الأغنِياء والأقوِياء عن الفقراء والضُّعفاء.

بل مِن شِدَّة حُبِّه لَهُم، جَعل مِن علامَات الإيمان بِاللَّه واتِّباعه، حُبُّ المساكين، والتَّقرُّب إِليْهم، والتَّودُّد لَهُم!

وَجعَل كَافِل اليتِيم فِي مَكانَة مُجَاورَة لَه فِي الجنَّة، عِنْدمَا قال:

«أَنَا وَكَافِل اليتِيم كهاتيْنِ فِي الجنَّة»

وَأَشار بِإِصبَعيهِ؛ السَّبَّابة والوُسْطى...

ولم يَكُن يُفرِّق فِي مَحبتِه الرِّجَالَ عن النِّسَاء؛ فَكَان يحْميهنّ - أي النِّسَاء -، ويقدِّرهن، ويعلِّمهن، ويجْعل الرِّجَال فِي حاجاتهن.

بل وَصَّى الأُمة كُلهَا عليهن، وَقَال لَهُم:

«استَوصُوا بِالنِّساء خيرًا.»

تأمَّلوا هذَا الموْقِف؛ فِي يَوْمٍ مِن الأيَّام رأى النبِي مَجمُوعةً مِن النَّاس قَادمِين إِلَيه، فَمِن كَثرَة فَرَحِه بِقدومهم قام إِليْهم وَرحَّب بِهم، وَقَال لَهُم:

«اللَّهمَّ أَنتُم مِن أحبّ النَّاس إِليّ»

وَكَرّرهَا ثلاثًا!

«اللَّهمَّ أَنتُم مِن أحبّ النَّاس إِليّ»

«اللَّهمَّ أَنتُم مِن أحبّ النَّاس إِليّ»

«اللَّهمَّ أَنتُم مِن أحبّ النَّاس إِليّ»

rasoulallah.net

لَم يُكرِّر فقط أَنَّه يُحبُّهم، بل أَشهَد اللَّه على هذَا الحُب..!

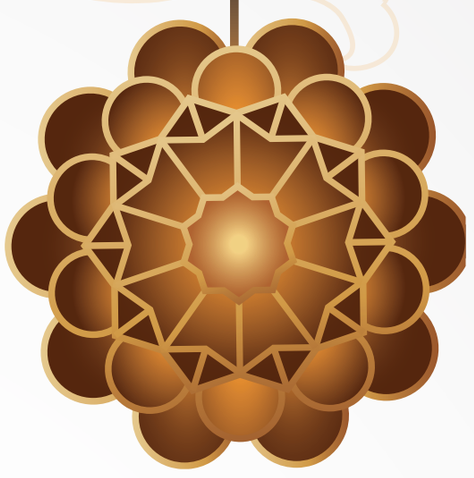

خَمَّنُوا مَعِي؛ من كان هؤلاء الذين يستَحقُّون أن يُعْلِن لَهُم سَيِّد الأنْبياء عن حُبِّه ثلاثًا؟

هل كَانُوا مَجمُوعة مِن السَّادات، يَدعُو لَهُم رِفْعَةً لِقدْرِهم، واهْتمامًا بِقدومهم؟

هل كَانُوا رِجالًا ومحاربين يَدعُو لَهُم شدًّا لِعزْمِهم، وإعْلَاء لِمكانتهم؟

هل كَانُوا مُلوكًا مِن الرُّوم أو الشَّام يَدعُو لَهُم رَغبَة فِي إِسْلامهم؟

لَا؛ بل كَانُوا مُجرَّد نِسَاء وصبْيَان مِن الأنْصار قَادمِين مِن إِحْدى وَلائِم الأعْراس!

فلم يَكُن أبدًا حُبّ النبِيّ مُرْتبِطًا بِمَدى شُهْرتك أو نُفوذك أو جَمالِك أو قبيلَتك أو عِرقِك أو جِنْسِك أو أيِّ شَيْء مِن شُؤُون الدُّنْيَا.

بل كان مُرْتبِطًا بِمَدى نَقَاء قَلبِك، وَرسُوخ إِيمَانِك، وَدَوام عَملِك.

وَهنَا دَعنِي أَقُل لَك أَمرًا؛ هُنَاك شَخْص صارحه النبِي بِحبِّه وَلَكنَّه لَم يُقدرذَلك الحُب؛ أَتريد أن تَعرِف مَن هُو؟ إِنَّه أنَا وأنْتَ...

قال رَسُول اللَّه: «وَوَدِدنَا أنّا رأَينَا إِخْوانَنَا...»

فَقَال الصَّحابة: «يَا رَسُول اللَّه؛ أَوَلسنَا إِخْوانَك؟»

قال لَهُم:

«أَنتُم أَصْحابي،
وإِخْواني الذين يأْتُون مِن بَعدِي.»

اشْتَاق لَك، وَوَد لَو رَآك، وَعبَّر بِانْتظاره لِلُقيَاك، بل تَحمّل الأذى والأَلم فِي سبيل دَعوَتِك للإِسْلام..!

لِئَلا تَتُوه وتضيع فِي كُلِّ هَذِه المعْتقدات والأَفْكار، ولتَعلَم بُوصِلَة النَّجَاة الوحيدة فِي هَذِه الحيَاة.

وبعْد كُلِّ هذَا بالكَاد تُكلِّف نَفسَك عَنَاء البحْث عَنْه، والقراءة فِي سِيرته، والتَّعرُّف عليْه...

وَتدّعِي الانشِغال بِمجْريات الحيَاة...

فتنقَضِي بِك الأيَّام، وَتمُر بِك السَّنوات التِي اكْتَفيتَ فِيهَا بِمتابعة مَن لَا قِيمة لَه مِن الممثِّلين والممثِّلات، وغَفلتَ عن أهمِّ شَخْص يَجِب عليْك أن تُتَابعَه وتتّبِعه فِي حَياتِك.

وعنْد مَوتِك، تُفاجَأ أنَّ الحِكاية لَم تَنتَهِ بَعْد..!

rasoulallah.net

وأنَّ هُنَاك مَلَكان سِيسْألانِك عن هذَا الرَّجل الذِي ظننْتَ أنَّ التَّعَرُّف عليْه رَفاهِية، واتِّباعَه مُجرَّد عادات عُرْفِية وجاهليَّة..!

لِتسْكِت صَوْت قَلبِك الذِي يُخْبِرك أنَّه لَيْس مُجرَّد إِنسَان، بل هُو سبيل السَّعادة الحقيقيَّة لَك فِي كُلِّ زَمَان وَمَكان...

فَكمَا عِشْتَ مُتألِّمًا بِدونه فِي دُنْياك، لِجهْلك وإِعْراضِك وصدَدكَ وتغافُلك عَنْه فِي الحيَاة، سَيكُون الجزَاء العادل لَك أن تُعذَّب فِي القبْر أيْضًا هُنَاك...

فَلذَلِك؛ بِمَا أَنَّك تَتَنفَّس الآن، لَديْك فُرصَة لِلتَّعَرُّف على أَعظَم إِنسَان، وَأهَم إِنسَان ستحْتاجه فِي حَياتِك وبعْد مَماتِك.

وَلذَلِك جِئْنَا إِلَيك، لِنأخُذ بِيديْك، وَنُعرّفك عليْه، حَتَّى نَجتَمِع جميعًا على الحوْض ونشْرب مِن يَديْه الشَّريفتينِ، ونلْقَاه وَنقُول لَه:

نُشْهِدك أَنّك أَدّيت مَا عليْك...

هذه المحبة ليست مقتصرة على زمانه أو مكانه، بل هي واسعة وشاملة لكل من يأتي بعده من المؤمنين، الذين يحملون لواء الإيمان ويسيرون على دربه ويتبعون سنته.

قد تكون أنت من بين هؤلاء الذين تصلهم هذه الكلمات

إِنّي أُحبُّك يا (....)!